فنجد صاحب اللسان فى كلامه المتقدم، قد شخص، وصور الاستعارة المكنية تشخيصا واضحا دون أن يصرح بلفظ استعارة، أو تشبيه، أو مثل، مبينا أن الإرادة لا تكون من الجدار على سبيل الحقيقة، وإنما على سبيل الاستعارة؛ لأن الجدار لما تهيأ للسقوط، واستعد له صار كأنه إنسان يهم، ويتحفز، وإثبات الإرادة للجدار استعارة تخييلية.

ومثل ذلك استعارة الإرادة للفئوس فى بيت الراعى، واستعارتها للرمح فى البيت الأخير.

* * *

حول مواقع الاستعارة التخييلية من الإعراب

الاستعارة التخييلية أو لازم المشبه به فى الاستعارة المكنية تأتى – كما ظهر من الشواهد والأمثلة التى سلف ذكرها – على عدة صور:

إحداها: أن تكون مضافا كما فى قول الأعرابية ترثى ولدها:

ألقى عليه الدهـر كلكله من ذا يقوم بكلكل الدهر

وكما فى قول الكميت:

واحتل برك الشتاء منزله وبات شيخ العيال يصطلب

وكما فى قولهم: نحر الظهيرة، أو نحر النهار، وغير ذلك.

ثانيتها: أن تكون صفة مفردة كما فى قول الكميت:

إليكم ذوى آل النبىّ تطلعت نوازع من قلبى ظماء وألبب

وكما فى قول غيلان الربعى:

حتى إذا شق بهيم الظلماء وساق ليلا مرجحن الأثناء

أو جملة كما فى قول الحجاج: إنى لأرى رءوسا قد أينعت وحان قطافها... فإن جملة (قد أينعت) صفة لكلمة (رءوس).

ثالثتها: أن تكون خبرا مفردا، وهو وصف فى المعنى كما فى البيت الذى أنشده ابن الأعرابى:

وبلدة مجهل تمسى الرياح بها لواغبا وهـى نـاء عـرضها خـاويـة

فإن لواغبا خبر تمسى.

وكما فى قول الآخر:

قلبى من الزفرات صدعه الهوى وحشاى من حـر الفراق أميم

وكما فى البيت الذى أنشده ثعلب:

قل ما بدا لك من زور ومن كذب حلمى أصم وأذنـى غير صماء

وكما فى قولهم: كتاب ناطق، وغير ذلك.

أو تكون خبرا وقع جملة، كما فى قول على - رضى الله عنه - المال تنقصه النفقة، والعلم يزكو على الإنفاق فإن جملة (يزكو على الإنفاق) خبر (والعلم).

رابعتها: أن تكون فعلا ماضيا ويبدو أنه حينئذ يقصد منه ما فيه من الحدث مجردا عن الزمان فيكون صفة فى المعنى كما فى قول عبدالله بن سبرة الجرشى:

ساقيته الموت حتى اشتف آخره فما استكان لما لاقى ولا ضرعا

فاللازم (الاشتفاف).

وكما فى الحديث (أطت السماء، وحق لها أن تئط...) وكما فى قولهم: استتب الأمر، وقولهم: عضه الدهر، وغير ذلك، أو تكون فعلا مضارعا كما فى قول الشاعر:

يريد الرمح صدر أبى بـراء ويعدل عـن دمـاء بنى عقيل

وكما فى قول ذى الرمة:

يدف علـى آثارهـا دبرانها فلا هـو مسبوق ولا هو يلحق

خامستها: أن تكون مجرورا كما فى قول الشاعر:

إذا كشف اليوم العماس عن استه فلا يرتدى مثلى ولا يتعمم

فإن قوله: (استه) لازم للمشبه به. وهذه الشواهد والأمثلة، فيها مادة علمية يمكن الإفادة منها فى مناقشة بعض القضايا البلاغية، التى تحاور فيها بعض علماء البلاغة، مثل تلازم المكنية والتخييلية، أو عدم تلازمهما، ورد الاستعارة التبعية إلى مكنية، وهل يتأتى ذلك فى كل استعارة أو أنه راجع إلى الذوق وغير ذلك.

ولعل الله يهيء لهذه الشواهد والأمثلة بعض الباحثين فيفيد منها، ويستثمرها فيما يعود على الدرس البلاغى، والبيان العربى بالنفع والفائدة.